العبرة

في

حكم الهجرة

تأليف فخر أهل الشرف والمجد ، في ذراري حضرة جده صاحب اليد
مولانا العالم العلاّمة، والبحر العذب الفهامة، المرشد الكامل، المتحلّي بأزكى الخصائل
صاحب السيادة والسماحة ، السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي
قدس الله سره ورضي الله عنه

بتوجّهات مدير الدائرتين ، وهمّة القائم في الرحبين
ونائب الأقطاب الوُرّاث ، أبناء الإمام أبي العلمين
القائم بنشر العلم والحال المحمدي ، ورافع لواء الطريق الرفاعي الأحمدي
سيدي صاحب الفضيلة الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة حفظه الله وأيّد به الاسلام والمسلمين

عني بكتابتها وتحقيقها وترتيب جمعها ، واكرم بتصحيحها والإشراف على سير طبعها
طفيلي مائدة الآل ، والمستشرف بأعتابهم عند نُوّابهم لخدمة النعال
أفقر الورى ، وأحقر من ترى
عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط
السقباني الدمشقي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين

الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هجرية

على نفقة جامعها وأخيه في الله المحسن الفاضل الحاج محيي الدين غنام أحسن الله للجميع الختام

توزع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وأشياعه وحزبه .

أما بعد فقد سألني بعض الاخوان ، أصلح الله لي ولهم الشأن أن أكتب شيئاً في حكمة هجرة روح الوجودات ، وعلة هذه الذرات ، وسيد السادات ، نبينا ونور قلوبنا وسيدنا ومولانا محمد عليه من ربه أفضل الصلوات والتسليمات ، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين فأجبته لذلك خدمة للجناب النبوي الرفيع ، والمقام الأقدس المحمدي المنيع ، وحررت هذه الرسالة الصغيرة ، المشتملة على كبير المعاني الوفيرة ، وسميتها (العبرة في حكم الهجرة) فيها إن شاء الله لمحبي الحضرة المحمدية قرة عين ، حيث أنها بارقة نور مصطفوي لا شك يدفع عن العين الغين .

المهاجرة المتاركة ، والهجر ضد الوصل ، والاسم الهجرة ، والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى والالتحاق بالثانيـــة ، وفي الخبر

« هاجروا ولا تهجروا » أي تاركوا ولا تقولوا هُجراً والهُجر بضم الهاء التكلم بما يوجب الاثم وهو من الاهجار والاهجار القول الفاحش الذي يتضمن الخنا وقول القائل : قول فلان مهجور أي باطل والهَجرة بفتح الهاء الخبط بالهذيان من الكلام ، والتهاجر التقاطع ، والهِجرة بالكسر وإن تضمنت الرحلة من أرض إلى أرض إلاّ أن حكم الوضع المفهوم من قوله ﷺ كما في الصحيح « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » يفيد أن الهجرة هجر المقَر ، وأن يجعل بهجره إلى الله المقر ، فيكون هجْر الوطن لله ، والخروج منه لله ، والاستقرار في المكان المهاجَر اليه لله ، ومن المعلوم أن أصعب الأحوال على النفس الهجرة بعد قتل المرء نفسه ، وهذه الهجرة الصعبة بمعنى ترك الديار بالاجبار ولذلك فإنها إن كانت لغير الله تعالى لا تكون هجرة شاملة المعنى الموضوع لهجرة النبي ﷺ وأصحابه وأهل الحق من أتباعه بل تكون محنة وفتنة وإن كانت لله جلّت قدرته خالصة فهي الهجرة الموضوع لها ذلك المعنى الكريم لأن المهاجر لله يجعل الله تعالى عوضاً عن كل شيء كما قال سيدنا الامام الرفاعي رضي الله تعالى عنه :

لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض

والمهاجر كالمصابر ، وقيل له مهاجراً للمبالغة في هجر الوطن وتركه لأجل الله ، وقد كانت هجرة الحبيب الأعظم ﷺ إلى (المدينة المنوَّرة) مبنية على حِكَمٍ جليلة ، وأسرار جزيلة ، وقد يطيب للخاطر ذكر شيء من أسرار تلك الحِكَمِ المحمدية ، التي بُنيت عليها الهجرة الشريفة النبوية ، فبحكم النظر من تلك الحِكَمِ أن الله تعالى جعل هجرة حبيبه عليه أفضل الصلاة والسلام باباً يدخل منه كل من ينتصر لله ، ويضيق عليه خناقه في الله ، فيهاجر إلى الله ، ويدعو لأمر الله ، لينفتق رتق الأذهان التي لم يخامرها حسد ولا منافسة وطن أو أهل وقبيلة ، ولا يثيرها غرض يدفعها عن قبول الحق ، وبقوة أرباب تلك الأذهان المنفتقة بفاتق الحِكمة الباهرة يردّ عجز الأمر على صدره ، وينصر الحق بالعودة إلى المقرّ الأول قوياً بحزب الله ، بعد أن خرج ضعيفاً متوكلاً على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومنها أن يتجرد المنتصر لله بنفسه غير متكل على الأعوان والأنصار ، منتدباً لنصرة الحق ، بقوة الحق ، فتكون له الغلبة على من خالفه نظراً بالحق لا بالجند ثم بعد تقرر الحق نظراً ينصر الله تعالى الحق بأهله ؛ وهذه حكمة جليلة ينبغي التنبه اليها ، والتعويل عليها ، ومنها أن يترك أمره في الله لله فلا يختار لنفسه ولو رفع زمام ناقته وتحويلها عن سيرها حتى يكون الذي يختار له هو الله سبحانه ، وهنالك فيكون وليّ أمره هو الله

لا غيره ؛ ومنها أن يلوي عِنان العزم عن الميل إلى كبار القوم ، وذوي الشوكة والغنى انتصاراً بشوكة الحق ، ويقف مع الفقر وأهله لكي لا يفوه أولوا الأغراض بالزور فيقول قائلهم : قام أمره بشوكة بني فلان . فحينئذ تصغر مزية حقه ؛ ومنها أن يُشيِّد بهجرته مجداً في الله لم يكن ملتصقاً بمجد آخر يتوهم التصاقه به في داره الأُولى ؛ ومنها أن لا يقيِّد همته بقوّة ومَنَعَة تنصره قبل أن يبرز سرّ نصر الله تعالى ، ويتوطد حقه في القلوب وهنالك يكون المنتصر له خادماً معيناً له في الحق ولذي الحق عليه المنَّة ؛ ومنها أن يستخلف مكانه إن وجد سبيلا لذلك ولياً من ذويه المندمجين في عصبته وذلك ليبقى في مكانه الأول أثراً في قلوب أعدائه تستيقنه قلوبهم ولو جحدته ألسنتهم ؛ ومنها أن يصحب معه إن وجد أيضاً إلى ذلك سبيلا أصدق الناس له ، وأقربهم لديه ، وأشفقهم قلباً عليه ، فيكون ذلك الصاحب لوحاً تقرؤه عيون ناظريه فتهتدي بحاله إلى الحق وفي هذه الحِكمة نتيجة معنى رشيق وهو بروز حال القرين بالقرين من معنى قول بعضهم :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وكل هذه الحِكم الشريفة وفوقها مما لا يعد اجتمع بالهجرة النبوية

على صاحبها ألف صلاة ، وألف سلام ، وألف تحيـــة وقد قلت في المعنى :

لقد هاجر الهادي وأبقى ابن عمّه ... ليبقى له في قلب أعدائه أثرْ
وفي هجر دار ضيّع الحق أهلها ... لقد أرشد الهادين من خُلّص البشرْ
ليفتق أرتاقاً لأذهان أمّـــة ... اذا أبصروا الحق اهتدوا رغم من كفر
فيرجع بالأنصار من زُهر حزبه ... لحضرته الأُولى ويفحم من فجر
ومُذ قام من بطن الديار مجرّداً ... كسيف صقيل هزّه يخطف البصر
يريد انجلاء الحق بالحق غالباً ... بحق يرى استدلاله وافق النظر
وفي تركه كل الأُمور لربـــه ... دليل على التفويض للحكم والقدر
وناقتـــه لم يلْوِها بعنانها ... لأبيات قوم شأنهم شاع واشتهر
وقد صحب الصديق حامل سره ... ليعلمهم بالنجم طالعة القمر
وهجرته لله والنص قد حكى ... حقيقتها يرويه صاحبه عمر
وشيّد مجداً في (المدينة) شاده ... بمكة ابراهيم والنص معتبر
وعاد بحزب الله يلوي لمكة الصـ ... ـفوف وأعلاه المعين وقد نصر
فذي حكمَ تجلو من الهجرة السنا ... محت ظلمة البهتان والحق قد ظهر

وتدبّر أيها اللبيب فإن جناب الحبيب عليه أشرف صلوات القريب المجيب كان لما وصل (المدينة) كلما مر على دار من دور الأنصار دعوه الى

المقام عندهم فقالوا يا رسول الله: هلمّ إلى القوّة والمَنَعة. فيقول « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » وأرخى زمامها وما يحرِّكها وهي تنظر يميناً وشمالاً حتى إذا أتت دار مالك بن النجار بركت هناك في محل هو لسهل وسُهيل إبني رافع بن عمرو هما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء ، ثم ثارت منه والنبي ﷺ عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول وألقت جِرانها (يعني باطن عنقها بالأرض) وصوّتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها وقال « هذا المنزل إن شاء الله تعالى » وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب ، وبعد سبعة أشهر من قدومه إلى (المدينة المنورة) اشترى عليه الصلاة والسلام حائط بني النجار بعشرة دنانير عدّها من مال سيدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه بعد تمنّع منهم عن أخذ الثمن ، فبنى هناك المسجد الشريف وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب في مؤخّره ، وباب الرحمة ، وباب يدخل منه ، وطول المسجد من القبلة إلى مؤخّره مائة ذراع وكذا في الجانبين ، فكانت هذه الهجرة الطيبة النبوية باب الأمن والإيمان ، ومطلع شمس العز للمسلمين في الأكوان ، حيث أنها لله ، فتولى أمرها الله .

وتدبر أيها اللبيب مقاصد الحبيب ﷺ ترى أنه صاغه الله من عقل وعلم وحكمة ، ورفعة شأن ، وعلو همة ، وقوة حزم ، وصحيح رأي ، ونيِّر فراسة ، وجلالة قدر ، ومتين عزم ، ورحيم قلب ، وجمع فيه ﷺ ما تفرّق في إخوانه النبيين والمرسلين - عليهم صلوات رب العالمين - من الفضائل وكريم الخصائل ، وشريف الشمائل فهو الجامع لمحاسنهم ، المقدَّم في صفِّهم ، الخاتم لحفلتهم ، القائم بتأييد دولتهم ، المستجمع بحكمة شريعته جميع أحكام شرائعهم صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

والهجرة من آداب النبيين والمرسلين - صلوات الله عليهم - هجروا أوطانهم ، وقاموا بعد الراحة في أفنيتهم الى الهجير ، فأخذوا حظهم من آداب الهجرة بتعب ونصب ، وقام أكرمهم وأعقلهم وأعلمهم بالله ، وأفضلهم نبينا المعظم ﷺ واستجمع في هجرته لله هجْر كل ما لم يكن لله من قول وعمل ، وحكم وأدب ، وطور وحال ، وقد حوَّل بأمر الله تعالى في العام الثاني من الهجرة القبلة إلى البيت الحرام ، ثم قعد لله وقام ، وحج واعتمر وصام ، وملأ الأرض بدين الإسلام ، وبذكر الملك العلام ، وأيَّد العدل ، ومحا الظلم ، وساوى بين الأشراف في الحق والضعاف ، وأخرج الله بصحبته السعيدة أُمّة جافية من

الظلمات الى النور ، فانبلج منها أناس كلهم كالبدور ، وتبعه السعداء، وتأدب بآدابه الأصفياء والأولياء والأتقياء ، فهو سيد المهاجرين في الله الى الله .

ولله در شيخنا وملاذنا قطب الزمان الغوث الكبير السيد محمد بهاء الدين مهدي الصيادي الرواس رضي الله عنه فإنه قال :

روحي فداء مهاجر هجر الرخا والدار لم يعبأ بحرٍّ هجير
ظنوه مهجور الطريقة فانبرا اعداؤه للهُجْر بالتقرير
أغضى كريماً عالماً ما صانه لجنابه المولى عطاء قدير
ترك العناد لأهله في مكة وسرى ليثرب واثقاً بنصير
فأعزَّه الباري وأيَّد دينه فأتى بصبح بالنجاح مُنير
وأعاده لبطاح مكة غالباً اهل الفساد بسابق التقدير
نَصْرُ الحق وخذل جاحد حقّه شأن على الرحمن غير عسير

وقد قيل الهجرة فُرجة يتّخذها المحق سُلَّماً للوصول للحق،وعند النظريين نصف التدبير ، للخروج من مضيق الأمر العسير لأنها ترفع بالهمة الخاملة ، وتعطي النظر عبرة ، والرأي فكرة ، وتصلح الخيال الكليل فيتسع مجاله ، وتوقف جموح الرأي عما لا يصلح اعماله،وتجمع

الخاطر بعد شتاته ، وتنقّي الفكر من آفاته ، وتحضر غائب القوّة ، وتهزّ نائم المروّة ، هـذا إذا كانت الفطرة عليلة ، والفكرة كليلة ، وإذا كانت الفطرة سامية ، والفكرة عالية ، وكان العبد ملحوظاً بعين العناية ، مشمولا بسر الصون والوقاية ، مؤيّداً بتأييد الله ، منصوراً بجند الله ، فهنالك تكون له الهجرة سلاحاً ربانياً ، ونجاحاً صمدانياً ، وقد انتهت المفاخر في الباطن والظاهر ، وبكل شأن خفي وجلي ، معنوي أو عياني ، دنيـوي أو أُخـروي ، عُرفي أو عقلي ، نظري أو شرعي لسيد المهاجرين ، حبيب رب العالمين ، أمين الله ونعم الأمين ، محمد النبيين ، احمد المرسلين صلى الله تعـالى عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين اجمعين .

فلهذا هجرته واضحة الفائدة ، كثيرة البركة ، جليلة النتيجة ، عظيمة المنفعة ، ولم تكن لخويصة نفسه الكريمة بل هي لكل الذرات الكونية ، والعوالم الإمكانية ، يعرف ذلك اهل العرفان الصادق والحق المبين ، وكفاك شاهداً قول الله تعالى (وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين) هذا ما فتح به في هذا الباب ، والى الله المرجع والمآب ، هو وهاب الجزيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . آمين